المختصر المفيد

في عقيدة أهل العدل والتوحيد

مدخل للإعتزال ومختصر للأصول الخمسة

عبد الله المُعتزِلي



الحمد لله الواحد الأحد الصــمد واهب العقول الدال على ذاته بذاته وبأفعاله، المنفرد بالقدم، ومنشيء الخلاق عن العدم الذي لا يأمر بالجور ولا يرضاه، ولا يقضي بالفساد, ولا يخلق أفعال العباد، صـــادق الوعد والوعيد، المنزه عن الكيف والأين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعماءه العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، الذي لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصـــفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجل ممدود ، فطر الخلائق بقدرته ، ونشـــر الرياح برحمته ، ووتد بالصخور ميدان أرضه، والصلاة والسلام على آل بيته الأطهار عليهم الصلاة والسلام ورضي الله عن المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فهذا بحث صغير الحجم فيه نبذة عن عفيدة المعتزلة كتبته مختصرا جدا، ليستوعبه العامة والخاصة، يمكن اعتباره رسالة في أصول العدلية، ككتاب معراج الكسالى للرصاص رحمه الله أو الأصول الخمسة للقاضي، فإني لما رأيت كثير من الإخوة يبحثون عن كتاب كبير المنفعة صـــغير الحجم متجاوزا ذكر كل الآراء الكلامية والخلافات والردود الطويلة، نســـأل الله أن يجعل فيه القبول ويحقق المراد بلطفه وكرمه، {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [القصص : 24].

🕮 المعتزلة، أهل التوحيد والعدل 🕮

المعتزلة مدرسة كلامية وكيان فكري قائم على ركنين: أولها ركن عقدي هدفه توحيد الله وتنزيه مما يفتريه المفترون من تشبيه ونسبة الظلم اليه جهلا وخبطا، وتنزيه العقيدة كلها من التجسيم والتشبيه والإرجاء والجبر، وثانيها ركن سياسي هدفه تطبيق شرع الله و إقامة العدل واسقاط الظلم والاضطهاد والفساد، أما اسمهم فهم المعتزلة لاعتزالهم كل أقوال المبتدعة والشبهات والعدلية لقولهم بعدل الله وحكمته والموحّدة لقولهم: لا قديم مع الله، وهم أرباب أنواع الكلام وأصحاب الجدل والتمييز والنظر والاستنباط والحجج على من خالفهم، والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل والمنصفون في مناظرة الخصوم[1] وأول من أرسى قواعد الخلاف، وهم أرباب الكلام وحصن الإسلام الأول.

وأما سند مذهبهم فقد قال ابو إسحاق بن عيّاش: وسند مذهبهم اصحّ اسانيد أهل القبلة اذ يتّصل الى واصل وعمرو بن عبيد، قلت: وبيان ذلك ان الامّة سبع فرق كما مرّ فالخوارج مذهبهم حدث في ايام عليّ عليه السلام وقد ظهرت تخطئته ايّاهم ومناظرته لهم وقتال من بقي على ذلك الاعتقاد، واما الرافضة فحدث مذهبهم بعد مضيّ الصدر الاول ولم يسمع عن احد من الصحابة من يذكر ان النصّ في عليّ جليّ متواتر ولا في اثني عشر إماما كما زعموا فان زعموا ان عمّارا و أبا ذرّ الغفاري والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي كانوا سلفهم لقولهم بامامة عليّ عليه السلام اكذبهم كون هؤلاء لم يظهروا البراءة عن الشيخين ولا السبّ لهما ألا ترى ان عمارا كان عاملا لعمر بن الخطّاب في الكوفة وسلمان الفارسي في المدائن؟ وقد مرّ ان أوّل من احدث هذا القول عبد الله بن سبأ ولم يظهر قبله.

واما المجبرة فقد بيّنّا فيما سبق ان مذهبهم انّما حدث في دولة معاوية وملوك بني مروان فهو حادث مستند الى من لا ترضى طريقته وسيأتي ما ورد عن افاضل الصحابة في ردّه فكيف يستند إليهم.

واما الحشوية فلا سلف لهم و انما تمسّكوا بظواهر الاخبار ولا يرجعون الى تحقيق ولا نظر كما قدّمنا، فظهر لك ان هذه المذاهب لا سند لها معمول به بخلاف سائر المذاهب ألا ترى الى سند

---

[1] التنبيه والرد على أهل الأهواء البدع للملطي ص 40

القراءات كلها كيف اتّصل حتى انتهى الى عليّ عليه السلام وعثمان و ابن مسعود و أبيّ بن كعب وغيرهم، وكذلك فقه أهل العراق اخذوه عن ابي حنيفة عن حمّاد بن سلمة عن علقمة والاسود عن عليّ عليه السلام و ابن مسعود، وكذلك اخذ أهل الحجاز عن مالك وغيره ومالك عن ربيعة و ابي الزناد وغيرهما وهم اخذوا عن افاضل الصحابة، وكذلك أهل الحديث واللغة والنحو كيف اخذ بعضهم عن بعض، قال: وسند المعتزلة لمذهبهم اوضح من الفلق اذ يتّصل الى واصل وعمرو اتّصالا ظاهرا شاهرا وهما اخذا عن محمد بن علي بن ابي طالب و ابنه ابي هاشم عبد الله بن محمد، ومحمد هو الذي ربّى واصلا وعلّمه حتى تخرّج واستحكم، ومحمد اخذ عن ابيه علي بن ابي طالب عليهم السّلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، {وما ينطق عن الهوى} (53 النجم: 3) قال الحاكم: وبيان اتّصاله بواصل وعمرو انه اخذه القاضي عن ابي عبد الله البصري و ابو عبد الله اخذه عن ابي اسحاق بن عيّاش، و ابو اسحاق اخذه عن ابي هاشم وطبقته، و ابو هاشم اخذه عن ابيه ابي عليّ الجبّائي، و ابو علي اخذه عن ابي يعقوب الشحّام، والشّحام اخذه عن ابي الهذيل، و ابو الهذيل اخذه عن عثمان الطويل وطبقته، وعثمان اخذه عن واصل وعمرو، وهما اخذاه عن عبد الله بن محمد، وعبد الله اخذه عن ابيه محمد بن علي ابن الحنفية، ومحمد اخذه عن ابيه عليّ عليه السّلام، وعليّ عليه السّلام اخذ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم، {وما ينطق عن الهوى} (53 النجم: 3).[2] ويقول ابن أبي الحديد: ومن كلامه عليه السلام – أي علي ابن أبي طالب - اقتبس ، وعنه نقل ، وإليه انتهى ، ومنه ابتدأ فإن المعتزلة - الذين هم أ هل التوحيد والعدل ، وأرباب النظر ، ومنهم تعلم الناس هذا الفن - تلامذته وأصحابه ، لان كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، و أبو هاشم تلميذ أبيه و أبوه تلميذه عليه السلام .[3]

ومن أشهر رجالهم: واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد و أبو الهذيل العلاف و ابراهيم بن سيّار النظّام والجبائيان أبو علي و أبو هاشم، الجاحظ، بشر بن المعتمر، ثمامة بن الأشرس، القاضي عبد الجبّار، الزمخشري، أبي مسلم والأصم، وغيرهم ممن وصلتنا بعض كتبه، كالحاكم الجشمي

---

[2] طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 7/5

[3] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 17

و أبو رشيد النيسابوري و أبو الحسين البصري، ابو علي بن خلّاد، و ابن أبي الحديد والخياط، ابن الملاحمي الخوارزمي، البلخي، وغيرهم الكثير.

📖 ما أجمعت عليه المعتزلة 📖

المعتزلة مجمعة على أن الله - جل ذكره - شيء لا كالأشياء، و أنه ليس بجسم ولا عرض ، بل هو الخالق للجسم والعرض ، وأن شيئا من الحواس لا يدركه في دنيا ولا في آخرة ، و أنه لا تحصرة الأماكن ولا تحده الأقطار ، بل هو الذي لم يزل ، ولا مكان ولا زمان ، ولا نهاية ولا حد. ثم خلق ذلك أجمع وأحدثه مع سائر ما خلق لا من شيء، و أنه القديم وكل ما سواه محدث ، وهذا هو التوحيد .

وأجمعوا أن الله لا يحب الفساد ، ولا يخلق أعمال العباد ، بل العباد يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التي خلقها الله لهم وركبها فيهم ، فيطيعوا ويتركوا المعاصي ، وأن أحدا لا يقدر على قبض ولا بسط ، إلا بقدرة الله التي خلقها ، عزوجل . وهو المالك للقدرة التي في العباد، لا يملكها العباد معه ، ولا دونه - جل وعز عن ذلك - يبقيها فيهم ما شاء ، ويفنيها إذا شاء، إلا أنه إذا أفناها رفع التكليف والأمر والنهي ، و أنه - تبارك أسمه - لا يريد ولا يشاء أن يشتم أو يفتري عليه ، ولا أن تنتهك محارمه، و أنه لو شاء أن يجبر الخلق كلهم على طاعته لكان على ذلك قادرا ، ولكنه لا يفعل ذلك إلا لما يريد من امتحانهم وتعريضهم للثواب الذي لا يبيد ، و أنه - وإن كان العباد يقدرون بالقدرة التي خلقها الله فيهم على أن يفعلوا ما لا يرضاه ولا يحبه ولم يأمر به ولم يرده، وما يسخطه - فليسوا بغالبين له، بل هو الغالب لهم القاهر، لأنه لو شاء منعهم ما لا يريد، ولا أجبرهم بما لا يريد ، ولكنه حلم عنهم ، وأمهلهم إلى يوم الجزاء والحساب . وأراد - جل وعز - أن يؤموا طوعا لا كرها، لتصح المحنه والابتلاء، وليستحقوا أفضل درجات الثواب ، و أنه لا يكلف عباده ما يطيقون ، ثم يعذبهم على تركه ، ولا يحول بين أحد وبين ما أمر به بوجه من الوجوه، و أنه لا يفعل بعباده - مؤمنهم وكافرهم - ما دام أمر لهم بطاعته ، ناهيا لهم عن معصيته - إلا ما فيه صلاح لدينهم الذي أمرهم به ، وما هو داع إلى طاعته والإيمان والرجوع عن معصيته إلى اتباع أمره، و أنه لا قصور في خلقه ، ولا تفاوت في تدبيره، وأن كل ما قضاه وقدره ففيه الخيرة ، وأن الواجب الرضاء

بكل ما قاله وقدره ، والتسليم لذلك . والإنكار والرد له والتكذيب به ، كفر وضلال ، وهذا هو العدل .

وأجمعوا أنه -عزوجل- لا يغفر لمرتكبي الكبائر إلا بالتوبة ، وهذا هو القول بالوعيد .

وأجمعوا أن الفاسق المرتكب للكبائر لا يستحق أن يسمى بالاسم الشريف ، الذي هو الإيمان والإسلام ، ولا بالكفر، بل يسمى بالفسق كما سماه الله ، وأجمع عليه أهل الملة . وهذا هو القول بالمنزلة بين المنزلتين .

وأجمعوا أن على المسلمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباتي بأي جهة استطاعوها، بالسيف فما دونه.[4]

وهم مختلفون فيما سوى ذلك من مسائل في دقيق الكلام وفروع الأصول كالقول في الإرادة والى ماذا ترجع صفة السميع البصير، إلى كونه حيا أو عالما مما هو مذكور في الكتب الكلامية.

فصل: في من يستحق لقب الإعتزال

يقول شيخنا البلخي: والاعتزال - رحمك الله - وإن كان سنذكر سببه ، وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين ، فقد صار في يومنا هذا سمة لمن قال بالتوحيد والعدل ولم يعتقد من سائر المقالات ، ما يزيل الولاية ويوجب العداوة ، وزال عن حال التوحيد والعدل ، وإن قال بالمنزلة بين المنزلتين ، هذا ضرار وأصحابه يقولون بذلك وليس تلزمهم سمة الأعتزال ، ولا يقبلهم أهله .

فأما من أظهر القول بالعدل ولم يدار فيه ولا استعمل التقية ، ولا اشتغل بسائر فنون العلم من فقهاء التابعين فمن دونهم ومن أصحاب الآثار والسنن ، ومن نقلت الأمة عنه ، ولم يجد مو افقهم ومخالفهم بدّا من الروا ية عنهم ، وإن كان جميع الصدر الأول من علماء التابعين بإحسان، وإلى أن وقع الاختلاف واستحكمت الفتنة، لا يتوهم على أحد منهم المخالفة للقول بالعدل ، وقد ذكرناهم في بعض كتبنا على ابن الروندي ، وفي كتابنا على محمد بن عيسى الملقب ببرغوث في "المضاهاة" . ونحن ذاكرون في كتابنا هذا حكاية عن أبي محمد عبد الله بن إبراهيم البغدادي وغيره .[5]

---

[4] كتاب المقالات للبلخي ص **2/1**

[5] كتاب المقالات للبلخي ص **17/16**

وقال شيخنا الخياط: وليس يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي.[6]

قلت: وقول الخيّاط هو الصواب، لا تنازل عن أي أصل، أن يقول أحد بالتوحيد والعدل ولا يقول بسائر الأصول فهو من العدلية، ومن يكون من العدلية ليس بالضرورة أن يكون معتزلي وهو أفضل من غيره على أي حال، أما من يقول بتلك الأصول كاملة على وجهها فهو معتزلي حقا وهو من يستحق هذا الإسم وهذا هو رأي الجمهور، المعتزلي من يقول بالأصول الخمسة كلها.

🕮 نعم الله على عباده 🕮

اعلم أيد الله وزادك من فضله أن تفصيل نعم لا يمكن معرفته فهي مما لا يحصى، قال الله تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل : 18]، أما على أما نعمه تعالى على الجملة، فكل نعمة في الدين والدنيا تحصل للعبد فهي منه تعالى، {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة : 152]، فأما أول نعمةٍ له سبحانه وتعالى على العبد فخلقه إياه حياً لينفعه؛ لأن غير الحي لا يصح أن ينتفع، والمنافع التي خلق الله الخلق لها ثلاث: تفضلٌ، وثوابٌ، وعوضٌ، ولما لم يصح الثواب والأعواض إلا بالتكليف كلّفه ليصل إلى جميع أنواع النعم، كا قال الحاكم وجمهور المعتزلة.

تفضل: وهو خلقه حياً لينتفع به ورزقه وأمثال ذلك والتكليف من هذا.

الثواب: يكون على فعل العبد إذا أطاع واجتنب المعاصي.

العوض: المستحق على الآلام، والأمراض، والغموم من جهة الله ابتلاءا ومن جهة غيره تكون اما ظلما أو عن غير قصد.

قال الحاكم: وإذا علم أن الثواب والعوض لا يصح بغير التكليف، كلف حتى يصل المكلَّف إلى هذه النعم الثلاث، والغرض بالتكليف ليستحق المكلف الثواب العظيم الدائم.

---

6 الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ص 126

ولا يجوز أن يخلق احداً للكفر والمعاصي والنار، بل هم يستحقون النار بسبب اختيارهم، ولما كلّف العبد أعطاه كل ما يحتاج إليه في أدائه من الآلة، والقدرة، وإزاحة العلة، والقدرة تكون قبل الفعل، وبلطف له حتى يقربه إلى الطاعة، وإذا آلمه وأمرضه يعطيه من العوض أكثر منه أضعافاً مضاعفة، فمن أطاعه يستحق الثواب، ومن عصاه يستحق العقاب.[7]

🕮 النظر والتفكر أول الواجبات 🕮

اعلم أيد الله وزادك من فضله أن أول ما يجب على المكلف هو النظر والتفكر المؤدي إلى معرفته تعالى، والنظر هنا لا في ذاته، إنما في دلالاته و آياته المنصوبة في أنفسنا وفي هذا الكون البديع، {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت : 53]، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا مشاهدة، ومعنى لا يعرف ضرورة أي أمرا بديهيا، فلو كان العلم بالله ضرورياً لكان بديهياً كالعلم بأن الكل أكثر من الجزء ومعرفة القبيح والحسن، فكان يجب أن يشترك العقلاء فيه؛ والواقع يحيل هذا، قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة : 2] لو كانت المعرفة ضرورة لم يكن لنصب الأدلة داعٍ، وجعل القرآن هدى معنى، وقال{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة : 3] فلو أن جميع الأشياء كانت معلومة ضرورة لم تكن غيبا، ولأنه لو كان الكافر يعلم كما يعلم المؤمن لما خص المتقين، ولأنه لا يصح المدح بالضرورات كما قال الحاكم الجشمي، لا يجوز أن يعرف بالمشاهدة، لأن المشاهدة توجب الجهة والحد والجسمية، هو ليس جسما ولا عرض، ولا يحد ولا يقال أنه في جهة، فهو مخلاف للأشياء، لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، وكما قال باب مدينة العلم علي بن أبي طالب: "أول الدين معرفته". فيعرف بالنظر العقلي، فإن قيل: بل يعرف بالسمع، أي بالقرآن والسنة.

قلنا: السمع مفتقر إلى معرفة الله تعالى ومعرفة الله تعالى مفتقرة إلى السمع وهذا دور محض لأنا لا نعرف السمع حتى نعرف الله تعالى ولا نعرف الله تعالى حتى نعرف السمع، فوجب أن تكون المعرفة عقلية.

---

[7] الرسالة في نصيحة العامة للامام الحاكم الجشمي ص 77

فإن قيل: لما صار النظر في طريق معرفة الله أول الواجبات؟

قلنا: لأنه لا يصح أن تعلم الفرائض والشرائع و أنت لا تعلم المعبود، فلا يحسن عقلا أن تصلي لله و أنت تجهله، وبعد فإن الإنسان بفطرته يبحث وينظر ويتفكر ويتسائل: من أين وإلى أين ومن وكيف ولماذا، حتى الطفل يسأل هذه الأسئلة فما بالك بالبالغ.

فإن عقلت هذا فاعلم أنه لا يخلوا النظر والتفكر من شك، الشك "غريزة أو ملكة" بشرية، ظاهرة صحية ووظيفة ذهنية، والشك يؤدي لليقين، كما قال شيخنا أبو اسحاق: لم يكن يقين قط حتى كان قبله شكّ، ولم ينتقل أحد عن اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتّى يكون بينهما حال شكّ ويرى شيخنا أبو هاشم الجبّائي أن الواجب الأول على الإنسان هو الشك ، قال قاضي القضاة: ومن حق النظر ألا يصح إلا مع الشك في المدلول عند شيخينا وقال الجاحظ: وبعد هذا فاعرف مواضع الشّكّ، وحالاتها الموجبة له، لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له، وتعلم الشّكّ في المشكوك فيه تعلّما. فلو لم يكن في ذلك إلّا تعرّف التوقّف ثمّ التثبّت، لقد كان ذلك ممّا يحتاج إليه، ثمّ اعلم أنّ الشكّ في طبقات عند جميعهم. ولم يجمعوا على أن اليقين طبقات في القوّة والضعف. ولمّا قال ابن الجهم للمكّيّ: أنا لا أكاد أشكّ! قال المكّيّ: و أنا لا أكاد أوقن! ففخر عليه المكيّ بالشكّ في مواضع الشّك، كما فخر عليه ابن الجهم باليقين في مواضع اليقين.[8]، قال أيضا شيخنا أبو عثمان: والعوامّ أقلّ شكوكا من الخواص، لأنّهم لا يتوقّفون في التصديق والتكذيب ولا يرتابون بأنفسهم، فليس عندهم إلّا الإقدام على التّصديق المجرّد، أو على التكذيب المجرد، وألغوا الحال الثالثة من حال الشّكّ التي تشتمل على طبقات الشك، وذلك على قدر سوء الظنّ وحسن الظّن بأسباب ذلك. وعلى مقادير الأغلب.[9] "فعلاقة الشك بـ النظر ليست غريبة ولا هي بالمنكرة أو المستنكرة..فالجامع لهما هو إطار سبل الوعي والمعرفة في منهج الإسلام.[10] فالشك المنهجي هو المراد الذي لا ينفك عن التفكر، ولا نريد بهذا الشك المرضي، لا كشك صالح بن عبد القدوس والسفسطائية، وقد أحسن أحد المعاصريين من المعتزلة في قوله إن الشك قسمان:

[8] الحيوان ج6 ص 35

[9] الحيوان ج6 ص 36

[10] معالم المنهج الاسلام محمد عمارة ص 58

1. الشــك المنهجي: الغرض منه التوصــل إلى الحقائق، ومن يأخذ بهذا الشــك فهو أقرب إلى الموضوعية من الجامد أو الجاحد.

2. الشك المذهبي: وهذا شك لا غرض منه سوى العبثية، لأنه هو في نفسه مذهب فلا ثوابت له، فهو يشك ويشك في أنه يشك، وحين يكون هذا الشك المذهبي سيد الموقف فسنشك في كل شيء، سنشك في الفساد الذي تعانيه الأمة، سنشك في هزيمتها، سنشك في حاجتها إلى الإصلاح، وهكذا فلن يكون هناك عمل ولن يكون هناك نهوض!.

وكمثال نضــربه لا على ســبيل الحصــر، كلام النبي ابراهيم الذي حكاه القرآن: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة : 260] وروي أن نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ سَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: " ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ ".[صحيح مسلم وغيره].

فإن عقلت هذا وعلمت أن النظر واجب على المكلف وملزم به وهو فرض عين، لأن التكليف يتضمن شيئين العلم والعمل، والعلم أصولٌ وفروعٌ، فمنها ما يجب تعيّنه على كل مكلّف، ومنها ما هو فرضٌ على الكفاية.

والعمل على ضربين: فعل وترك، والفعل على ضربين، فمنه ما يجب على كل واحد، ومنه ما هو فرضٌ على الكفاية، فأول ما يجب على المرء النظر في طريق معرفته تعالى ليعرفه، ثم يعرف صفاته، ثم يعرف النبوات والشرائع، وذلك يشتمل على علوم التوحيد والعدل وعلوم النبوات والشرائع.[11]

فصل: الأدلة المعتمدة عند المعتزلة

إن قيل: هي الأدلة المعتمدة عند المعتزلة؟

قلت: هي أربعة أدلة، العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع.

[11] تحكيم العقول في تصحيح الأصول للحاكم الجشمي ص 30

أما العقل فلأن الله خاطب العقلاء أي خاطب عقولهم وبه يحاسب الإنسان وبه يعرف الحسن والقبيح وهو أصل الحجتين (الكتاب والسنة) لأنهما عرفا به ولم يعرف بهما، قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك : 10] أما الكتاب فلأنه كلام الله الحكيم العليم فلا يجوز عليه الكذب ولا التناقض ولا النقصان، {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} هو كتاب {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} فهو حجة، فأما السنة فهو ما تواتر نقله وصح منه فعله أو قوله، وقد أطلق ذلك على أخبار الآحاد، إلا أنها حجة في فروع الشرع، وليست بحجة في أصول الدين؛ لأن طريقه القطع، فلا بد من دليل مقطوع به، وقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر : 7] وعلم من دينه - صلى الله عليه وآله - أن قوله وفعله حجّة، والعلماء من لدن الصحابة إلى يومنا هذا يرجعون إلى سنته في معرفة الأحكام دل أنه حجة.

فأما الإجماع فهو حجة لقوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء : 115] ، فأوعد على سلوك طريقة غير طريقة المؤمنين، دلّ أن طريقتهم حقٌّ وصواب، وقال تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء : 59] فشرط في الردّ إلى كتاب الله وسنة رسوله المنازعة، دلَّ على أن مع الموافقة لا يجب، وقال - صلى الله عليه وآله -: ((لا تجتمع أمتي على ضلالة))، وقال: ((عليكم بالجماعة فإن يد الله عليهم))، واستدلّ أبو علي بقوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ } [البقرة : 143].[12]

🕮 التوحيد 🕮

فصل: حدوث العالم

اعلم أيدك الله أنه تقرر عند العقلاء أن الأشياء إما أن تكون قديمة أو تكون محدثة، وتقرر عندنا أن القديم لا تجوز عليه الحركة ولا السكون، والإفتراق والإجتماع، ولا المكان ولا الأعراض، ومعنى القديم فهو ما لا أول لوجوده ، والله تعالى هو الموجود الذي لا أول لوجوده، والمحدث هو

---

[12] تحكيم العقول في تصحيح الأصول للحاكم الجشمي ص 33

الذي لم يكن ثم كان كالأجســـام وكل ما حل في عرض أو الأعراض فهو محدث أي مخلوق، وعليه نقول إن في الأجســـام معاني لا ينفك عنها كالاجتماع والافتراق والحركة والســـكون وهذه المعاني محدثة، والجسم لا ينفك عنها ولا يتقدمها فوجب حدوث الجسم أيضا، وعليه فإن العالم بما فيه من الأجسام والأعراض محدث لا قديم، إلا الله تعالى.

ووفقا لفروض نظرية الكم الأســاســية، وبموجب الوصــف الجســيمي للطاقة والوصــف الموجي للجسيمات فإنه لا يمكن تحديد موقع جسيم وسرعته بدقة لا متناهية في آن واحد. بل إن حاصــل ضــرب عدم الدقة في الموقع وعدم الدقة في الزخم لا يمكن أن يقل عن مقدار ثابت هو ثابت بلانك[13]. فالثابت أن الذرات والأمواج والأجسام في العالم الكبروي والصغروي متحركة، وما تجوز عليه الحركة لا يجوز أن يكون قديما، والأجســـام الكبروية والذرات من أكبرها إلى الكوراكات لا تنفك عن الأعراض، ووفقا للقانون الثاني للديناميكا الحرارية وتمدد الكون والأشــعة الميكروية أيضا ثبت أن الكون محدثا.

فصل: إثبات المُحدِث

فلما ثبت حدوث العالم وجب أن يكون له محدث، فإذا رأى العاقل ما في العالم من بدائع الخلق ودقة التصميم، علم أن لهذا الكون خالق قديم حكيم قادر.

فإن قيل: إن العالم قديم لم يزل.

قلنا: قد بينا بطلانها، فقد أثبت العلم حدوثه وهذا ما أثبته مشــايخنا والمتكلمين والمحدثين المســـلمين، اســـتنادا إلى الدعاوى الأربع وإلى ما أثبته العلم الحديث وما ذكرناه في باب حدوث الأجسام لا وجه لإعادة ذكره.

فإن قلت: إنه أحدث نفسه.

قلنا: هذا محال، فهذا يســـتلزم الدور والدور محال، كأنك تقول أن (الكون) يعتمد على وجوده على (الكون نفســه) فتوقف الشّيء على نفســه باطلٌ، فهو يلزم منه أنّ الكون قبل وجوده (أي حال عدمه) موجودٌ، وهذا تناقضٌ، لأنّ فيه إثبات الوجود ورفعه، واجتماع النقيضين محال بداهة.

---

[13] مفهوم السببية في الفيزياء المعاصرة د. محمد باسل الطائي ود. آمال رضا ملكاوي و أ.د. محمد سعيد الصباريني ص29

فإن قلت: إنه حدث من غير محدِث، ولا من علة.

قلنا: فهذا من أحول المحال، لأنه إذا حدث من غير علة ولا محدِث، لم يخل من أن يكون حدث من العدم، أو من نفســه!! وهذا محال، فلو أعدنا الكون إلى الوراء ســترى المجرات تتقارب أكثر فأكثر حتى تندمج مع بعضــها البعض وتنضــغط مادتها أكثر وأكثر حتى تصــبح في حالة تكثف (تركيز) هائلة، وقد يعجب المرء في رحلة العودة هذه عما إذا كانت هناك حدود أو درجة معينة لهذا الإنضـغاط ومن السـهل ملاحظة أنه ليس ثمة حدا سـهلا لذلك، ولكن لنفترض أن هناك حد أقصى للانضـغاط وعليه فلابد من وجود قوة خارجة عنه من نوع ما قادرة على قهر هذه الجاذبية الهائلة وإلا ستتغلب هذه الأخيرة وتستمر في الانضغاط أكثر، والأكثر من ذلك فإنه لا بد لهذه القوة الخارجية أن تكون هائلة لأن الجاذبية الداخلية تنموا أكثر مع زيادة الانضغاط.[14]

فلا يبقى إلا أن له خالق مصــمم موجد وهو الله لا إله إلا هو، القديم، القادر العالم الحي السميع البصير.

فإن قيل ما الدليل على هذا؟

قلنا: ان احتمالية وجود هذا الضــبط الدقيق تجعل الاحتكام المباشــر للصــدفة ضــعيفا جدا، اكتشــف الفيزيائيون أكثر من 30 من الثوابت الكونية أو الفيزيائية التي تتطلب معايرة دقيقة لكي تنتج كونا صالحا للحياة. دعم مايكل دنتون في كتابه "قدر الطبيعة" بالوثائق العديد من الشروط الضـرورية الأخرى لحياة الإنسـان خاصـة، من عالم الكيمياء والبيولوجيا والجيولوجيا، وأضـاف عددا من الثوابت المســتقلة التي تظهر بشــكل ملحوظ درجة عالية من الضــبط الدقيق، معدل تمدد الكون يجب أن يحدد بجزء من 10^{60} . لو حدث تســارع قليل جدا في معدل التمدد بجزء من $10^{60(2)}$ لتناثرت مادة الكون أكثر مما ينبغي لتســنح بتكوين نجوم، ولو قل معدل التســارع بشــكل قليل جدا ســيؤدي إلى انهيار فوري للجاذبية، قوة الجاذبية نفســها تتطلب ضــبطا دقيقا بجزء من 10^{40}.[15] ومن المحال أن يكون هذا الكون المحدث وهذه القوانين الطبيعية الدقيقة بلا خالق موجد حكيم، لا بد إذن من موجد ومسبب خارجي قادر عالم حي أوجده.

---

14 بول دايفز بتصرف

15 العلم ودليل التصميم ص 70

وإن هذا الموجد لوكان له موجد آخرلحتاج هذاا الى موجد الى آخره، مما يؤدي إلى التسـلسـل، وهو محال بداهة، إذن الموجد والفاعل هنا لا بد أن تنتهي إلى سـلسـلة الوجود هذه ويكون العلة الأولى وهو الله عزوجل.

فصل: الصفات

1- أنه تعال قادر: لأن الفعل قد صح منه، والفعل لا يصح إلا من قادر، وهو سبحانه وتعالى قادرفيما لم يزل ، ويكون قادرا فيما لا يزال ، ولا يجوزخروجه عنها لضـعف أوعجز ، و أنه قادر على جميع أجناس المقدورات ، ومن كل جنس على ما لا يتناهى ، و أنه لا ينحصـر مقدوره لا في الجنس ولا في العدد، أما القبيح فهو سـبحانه قادرعليه لقادريته المطلقة، مسـتحيل بالنظرإلى داعيته.

2- أنه تعالى عالم: والدلالة على أنه تعالى عالم هي أنه وجد منه الأفعال المحكمة . والمحكمة هي المرتبة ترتيبا مطابقا للمنفعة . فلا بد في الفعل المرتب من تقديم بعض أجز ائه وتأخيرالبعض . والكل يصح وجوده من غيرترتيب أو على غيرذلك الترتيب،فثبت أنه تعالى عالما فيما لا يزال ، ولا يجوزخروجه عن هذه الصفة بجهل أوسهو ، و أنه عالم بجميع المعلومات على الوجه الذي يصح أن تعلم عليها.

3- وتعلم أنه تعالى حي: الحي هو الذي لا يسـتحيل أن يقدرويعلم . وقد دللنا على أنه تعالى عالم قادر، فلزم كونه حيا . و إنما قلنا إن المصحح لذلك ليس إلأكون الحي حيا لأن عند العلم به نعلم صحة ذلك ، وعند العلم بنفيه نعلم اسـتحالته . ألا ترى أن عند العلم بأنه جماد نعلم استحالته.

4- أنه تعالى سـميع بصـيرللمدركات: لأنه تعالى حي لا آفة به وكل من كان حياً لا آفة به فهو سـميع بصـير، كما في الشـاهد أن من كان حياً لا آفة به فهو سـميع بصـير، فثبت أنه سـميع بصـير فيما لم يزل ، وسيكون سـميعا بصـيرا فيما لا يزال ، ولا يجوزخروجه عنها بحال من الأحوال ، لأن المرجع بذلك ليس إلى إلا إلى كونه حيا عند البصـرية أوعالما عند البغدادية والزيدية، وهذا ثابت للقديم تعالى في كل حال.

5- أنه تعالى موجود: وتحرير الدلالة على ذلك ، أنه عالم قادر، والعالم القادر لا يكون إلا موجودا.

وهذه الدلالة مبنية على أصلين ، أحدهما ، أنه تعالى عالم قادر وقد تقدمه ، والثاني ، أن العالم القادر لا يكون إلا موجودا فلا يمكن رده إلى الشاهد، أما الذي يدل على أنه تعالى كان موجودا فيما لم يزل ، فهو أنه تعالى لو لم يكن موجودا فيما لم يزل وحصل كذلك بعد إذ لم يكن ، لاحتاج إلى موجد يوجده ، وذلك محال.

6- أنه تعالى قديم: لأنه تعالى لو لم يكن قديما لكان محدثا ، لأن الموجود يتردد بين هذين الوصفين ، فإذا لم يكن على أحدهما كان على الآخر لا محالة. فلو كان القديم تعالى محدثا لاحتاج إلى محدث ، وذلك المحدث إما أن يكون قديما أو محدثا ، فإن كان محدثا كان الكلام في محدثه كالكلام فيه ، فإما أن ينتهي إلى صانع قديم على ما نقوله ، أو يتسلسل إلى ما لا نهاية ولا انقطاع من المحدثين ومحدثي المحدثين وهذا محال.

7- وتعلم أنه تعالى غني لا تجوز عليه الحاجة؛ لأن الحاجة لا تجوز إلا على من جازت عليه المنفعة والمضرة واللذة والألم، ولا يجوز ذلك إلا على من جازت عليه الشهوة ونفار الطبع وذلك لا يجوز عليه تعالى. و أنه غني في ما لم يزل ولا يزال.

8- وتعلم أنه تعالى واحد لا ثاني له في القدم والإلهية، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص : 1] إذ لو كان معه غيره لوجب أن يكون احدهما أوجد الآخر فوجود قديمين محال وهذا يؤدي إلى التسلسل.

اعلم أن هذه الصفات يستحقها لذاته لا لمعاني قديمة ولا محدثة خلافا للأشاعرة ولهشام بن الحكم، قال قاضي القضاة: وتحرير الدلالة على ما نقوله في ذلك ، هو أنه تعالى لو كان عالما بعلم ، لكان لا يخلو ، إما أن يكون معلوما ، أو لا يكون معلوما. فإن لم يكن معلوما لم يجز إثباته ، لأن إثبات ما لا يعلم يفتح باب الجهات. وإن كان معلوما فلا يخلو ، إما أن يكون موجودا أو معدوما. لا يجوز أن يكون معدوما. وإن كان موجودا فلا يخلو ، إما أن يكون قديما ، أو محدثا ، والأقسام كلها باطلة ، فلم يبق إلا أن يكون عالما لذاته على ما نقوله.[16]

[16] شرح الأصول الخمسة **120**

فصل: تنزيهه عن صفات النقص.

اعلم أيدك الله أنه تعالى ليس جسـما ولا عرضـا ولا جوهرا و أنه غير مشـبه للأشـياء إذ لوا شـبهها لجاز عليه ما جاز عليها من التغير والزوال والتنقل من حال إلى حال ، وذلك علامات الحدوث وقد ثبت أنه تعالى قديم، ولا يجوز أن يوصف بالعجز، والجهل، والشك، والظن، والندم، والموت، والآفة.

فصل: نفي الأعضاء والجسمية عنه سبحانه وتعالى

1- قوله تعالى: (الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى): المراد به أستولى أي قادر على خلق العرض والتصرف وهذا مشهور في لغة العرب وأشعارهم كما قيل:

قد استوى بشر على العراق ** من غير سيف ودم مهراق

والاستواء في اللغة ينصرف على أربعة أوجه: استوى: استقام، وهو الأصل، واستوى: قصد، واستوى: استولى، واستوى: صعد وعلا، أما الأول: فيقال: استوى أمره، أي استقام، ويُقال: دبر أمر العراق، ثم استوى الشام، أي قصد، كأنه مر على الاستقامة، وفي الاستيلاء يقال: استوت له الأمور كأنه استقام له واستوى على سريره، أي علا كأنه استقام عليه، والتسوية: التقويم، وحقيقتها جعل الشيء على الاستواء، الاستواء: الاستقرار، ومنه: (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) والاستواء: القصد،

ومنه: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) وكل مرفوع من أمره قصد لغيره فقد استوى له، وإليه.

قال ابن عرفة: الاستواء من الله الإقبال على الشيء والقصد له. قال الفراء: تقول العرب: استوى إليّ يخاصمني؛ أي: أقبل عليَّ، والاستواء: الاستيلاء، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ** من غير سيف ودم مهراق

وقال آخر:

فَلَمَّا عَلَوْنَا وَاسْتَوَيْنَا عَلَيْهِمُ ** تَركْنَاهُمْ صَرْعَى لِنَسْرٍ وكَاسِرِ

والاستواء: العلو، قال الله تعالى: (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ)، كذا قال الحاكم.

2- قوله تعالى: (وَلِتُصْـنَعَ عَلى عَيْنِي): المراد به لتقع الصـنعة على علمي ، والعين قد تورد بمعنى العلم ، يقال جرى هذا بعيني أي جرى بعلمي. ولو لا ما ذكرناه وإلا لزم أن يكون لله تعالى عيون كثيرة ، لأنه قال : «بأعيننا» والعلوم خلاف ذلك.

3- قوله تعالى: (كُلُّ شَـيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ): المراد به كل شـيء هالك إلا ذاته أي نفسـه ، والوجه بمعنى الذات مشـهور في اللغة ، يقال : يقال : وجه هذا الثوب جيد ، أي ذاته جيدة وبعد ، فلو كان الأمر على ما ذكروه ، للزم أن ينتفي كل شيء منه إلا الوجه ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا

4- قوله تعالى: (لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَ): اليد هاهنا بمعنى القوة ، وذلك ظاهر في اللغة ، يقال : ما لي على هذا الأمر يد ، أي قوة. فإن قالوا فما وجه التشـبيه إذا؟ قلنا : إن ذلك مسـتعمل في اللغة ، قال الشاعر:

فقالا شفاك الله والله ما بنا ** لما حملت منك الضلوع يدان

وعلى هذا قال الشاعر:

فإن بخلت سدوس بدرهميها ** فإن الريح طيبة قبول

وقال أبو وهب ، الوليد بن عقبة :

أرى الجزار يشحذ شفرتيه ** إذا هبت رياح أبي عقيل

و إنما أراد شـفرته ، ولكن ثنى؛ كذا قال القاضـي عبد الجبار في الشـرح، وقيل: "بِيَدَيَّ" أي: بنعمتيَّ: نعمة الدين ونعمة الدنيا، أو نعمته الظاهرة والباطنة، والباء بمعنى اللام، أي: خلقته للدين والدنيا، ليكون هو وذريته خلفاء الأرض.

5- قوله تعالى: (بَلْ يَداهُ مَبْسُـوطَتانِ): اليد هاهنا بمعنى النعمة ، وذلك ظاهر في اللغة ، يقال : لفلان علي منة ، أي منة ونعمة.

6- قوله تعالى: (يا حَسْـرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ): "فِي جَنْبِ اللَّهِ" وقيل: في أمره، عن مجاهد، والسدي.

وقيل: في طاعته، عن الحسـن. وقيل: في حقه، عن سـعيد بن جبير. وقيل: في الجانب الذي يؤدي إلى رضا اللَّه وثوابه المجانب للسبل المضلة، عن أبي مسلم. والعرب تسمي الجانب جنبًا، قال الشاعر:

النَّاسُ جَنْبٌ والأَمَيرُ جَنبُ

أي: الناس في جانب، والأمير في جانب، وقيل: "فِي جَنْبِ اللّهِ": في ذاته، يقال: كسبت هذا المال في جنب فلان، وقيل: يا شدة الندامة على ما فرطت في جنب أمر اللَّه، كما يقال: هذا قليل في جنب ما كنت أرجو نيله.

7- قوله تعالى: (وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ): ومعنى "بِيَمِينِهِ" قيل: بقدرته، وقيل: بقسمه وبقوته، حلف أنه يطويها ويفنيها، وقيل: هو ملكه كما يقال: ملك يمين "سُبْحَانَهُ" تنزيهًا له وبراءة عما وصفوه به من الشرك.

8- قوله تعالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ): المراد به الشدة ، يبين ذلك أنه تعالى يصف هول يوم القيامة وشدته جريا على عادة العرب ، فهو بمنزلة قولهم قامت العرب على ساقها، فأما ما ترويه الحشوية في حديث طويل، عُمْدَتُهُ: "أنه تذهب كل طائفة مع آلهتهم إلى النار، ويبقى الموحدون، فيقول الله تعالى: من عبدتم؟ فيقولون: عبدنا اللَّه، فيبدو لهم في صورة غير صورته فينكرونه، فيقول: هل بينكم وبينه آية؟ قالوا: نعم، ويكشف عن ساقه فيخرون سجدًا"، فمن دسيس الملحدة؛ لأنه ليس بذي صورة، ولا يجوز عليه الأعضاء، ولا أن يتصور بصور.

ومن عجيب شأنهم أنهم يزعمون أن الشيطان يتصور بصور، ثم وصفوا معبودهم بمثل ذلك، وأي معنى في ساق بلا قدم وفخذ، ولو أثبتوا جميع الأعضاء فهو جسم، والعجب من قوم ينكرون التشبيه، ويروون هذا الحديث من غير تأويل لها، ثم يروون ما يناقضها، تعالى اللَّه عن قولهم علوًّا كبيرًا. وهذا كلام الحاكم الجشمي.

9- قوله تعالى: (وَجاءَ رَبُّكَ): تعالى ذكر نفسه وأراد غيره جريا على عادتهم في حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه ، كما قال عزوجل : (وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ) [يوسف : 82] يعني أهل القرية. وقال في موضع آخر: (إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي) [الصافات : 99] أي إلى حيث أمرني ربي.

فصل: نفي الرؤية

وعندنا أنه تعالى لا يجوز أن يُرى بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة، ولو جاز أن يُرى في حال من الأحوال لوجب أن تراه الآن؛ لأن الحواس سليمة والموانع مرتفعة وهو تعالى موجود، قال تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام : 103] وعندنا في هذه الآية نفي للرؤية لأن التمدح راجع إلى ذاته، قال الحاكم: يعني لا يراه المبصرون، وهو عام؛ لأن التمدح بنفي

صفة عن ذاته يعم كقوله: (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) يعني المبصرون، ومعناه: أنه يَرى ولا يُرَى، ولهذا خالف جميع المخلوقات؛ لأن منها ما يَرَى ويُرَى كالأحياء، ومنها ما يُرَى ولا يَرَى كالجمادات والأعراض المدركة، ومنها ما لا يرى ولا يرى كالأعراض التي هي غير المدركة، والله تعالى خالف جميعها، بأن يَرى ولا يُرى، ونظيره: (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) (وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ)، وقال القاضي: ووجه الدلالة في الآية ، هو ما قد ثبت من أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمدحا راجعا إلى ذاته ، وما كان من نفيه تمدحا راجعا إلى ذاته كان إثباته نقصا ، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال، وقال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف : 143] والله نفى الرؤية هنا نفياً مطلقاً غير مقيد بزمان، نفيا تأبيديا، أما سؤال موسى فإنه سأل ذلك عن قومه لاستخراج. الجواب لهم لما قالوا: أرنا الله جهرة، وقوله: (فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً) ولذلك قال موسى: (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا)، وقال تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام : 103] أما قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)} [القيامة : 22 - 23] ليس المراد به الرؤية وإنما المراد به النظر والانتظار، وفي الآية النظر، والرؤية غير النظر، يقال: نظرت إلى الهلال فلم أره، ولو كان النظر هو الرؤية لكان مناقضة، واعلم حقيقة النظر لا تجوز على الله تعالى؛ لأنه تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته على ما بَيَّنَّا، وذلك يقتضي جهة له تعالى، وإذا علق النظر بما يستحيل تعلقه به فلا بد من تأويل، ثم إن العقل والسمع دلَّا على أنه تعالى ليس بمرئي، أما السمع: فقوله تعالى: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) وهذا تمدح فيعم، وقوله: (لَنْ تَرَانِي) وهو عام، وأما العقل: فلأنه لو صح عليه الرؤية لوجب أن نراه لاستحالة الموانع عليه، ولأن ما يرى بالحاسة لا بد من أن يكون في جهة، ولأن ما يكون مرئيًا ويختص بإدراكه البصر فهو من جنس الألوان؛ ولأنه إما أن يرى على ما يعقل فيقتضي كونه جسمًا أو عرضًا، أو يرى على وجه لا يعقل فيلزم أن يصح أن يلمس ويسمع، ولجاز أن يرى بلا بصر. كذا قال الحاكم وجمهور مشايخنا.

🕮 العدل 🕮

العدل هو العلم بتنزيه الله عن كل قبيح وأن كل أفعاله حسنة، لا يقضي بالفساد ولا يخلق القبائح ولا يخلق أفعال العباد، يمكن اختصارها في نقاط على طريقة البهلولي ونقول:

1- تعلم أنه تعالى عدل حكيم ليس في أفعاله ظلم ولا عبث ولا سفه؛ لأن ذلك كله قبيح ومعلوم قبحه عند كل عاقل، والله تعالى لا يفعل القبيح؛ لعلمه بقبحه وغناه عن فعله وعلمه بأنه غني عنه، وكل من كان بهذه الأوصاف فإنه لا يفعل القبيح، كما ثبت في الشاهد أن العاقل متى قيل له إن صدقت أعطيتك درهما ، وإن كذبت أعطيتك درهماً فإنه لا يختار الكذب على الصدق وليس ذلك إلا لعمله بقبح الكذب وغناه بالصدق عنه وعلمه بغناه عن ذلك.

2- وتعلم أن جميع أفعال العباد حسنها وقبيحها منهم لا من الله تعالى؛ لأنه أمرهم ببعضها ونهاهم عن بعضها ولا يجوز أن يأمرهم ولا ينهاهم عن فعله تعالى؛ لأن ذلك قبيح.

3- وتعلم أنه تعالى لا يعذب أحد إلا بذنبه كما قال تعالى: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ } [العنكبوت : 40] ولأن عقاب من لا ذنب له ظلم قبيح، ولا يعذب أطفال الكفار والمشركين.

4- وتعلم أنه تعالى لا يقضي إلا بالحق كما قال تعالى: {وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ } [غافر: 20] وبالمعاصي باطل فلا يجوز إطلاق القول أنها من قضائه؛ إذ لو كانت من قضائه لوجب الرضا بها إذ لا خلاف بين المسلمين أن الرضى بقضاء الله تعالى واجب، ولا خلاف بينهم أن الرضى بالمعاصي لا يجوز فدل ذلك على أنها ليست بقضاء الله تعالى.

5- وتعلم أنه تعالى لا يكلف ما لا نطيقه؛ لأن تكليف ما لا يطاق قبيح وهو لا يفعل القبيح، كما قال: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [البقرة : 286] وأن القدرة قبل الفعل لأنها لو كانت مع الفعل لوجب أن لا يقدر كافر على الإيمان ولو لم يقدر عليه لكان تكليف ما لا يطاق وهذا قبيح والله منزه عنه.

6- وتعلم أنه تعالى لا يريد الظلم ولا يرضى الكفر ولا يحب الفساد؛ لأن ذلك كله راجع إلى الإرادة وإرادة القبيح قبيحة وهو تعالى لا يفعل القبيح كما قال تعالى: {وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} [الزمر: 7]

7- وتعلم أنه تعالى لا يفعل بعباده شيئاً من النقص والألم ابتداء إلا ما هو مصلحة للمكلفين سواء كان ذلك محنة أو نعمة؛ لأنه لا يفعل إلا الحكمة والصواب و إنما يكون ذلك حكمة إذا كان الغرض به اعتبار المكلفين ويحصل به عوض للمؤلمين.

8- وتعلم أن كلامه حق {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت : 42] و أنه محدث غير قديم؛ لأنه مؤلف منظوم يوجد بعضه في إثر البعض وذلك إمارة الحدوث، فالألف تسبق الميم وكذاوأن فيه ناسخ ومنسوخ وأسباب النزول..الخ فدل هذا عل أنه محدث كما قال تعالى: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأنبياء : 2]

9- وتعلم أن محمد صلى الله عليه وعلى آله نبي صادق؛ لأنه جاء بالقرآن الذي جعله حجة له ودليلاً على ثبوته، وهو معجز لعجز العرب الذين هم النهاية في الفصاحة أن يأتوا بمثله مع أنه تحداهم فقال الله: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} [الطور: 34]، فلوا قدروا على الإتيان بمثله لجاء وا به ولم يختاروا المحاربة التي لا تدل على بطلان باطل ولا صحة صحيح، فثبت عجزهم وأن القرآن معجز والمعجز لا يجوز ظهوره إلا على صادق في دعواه؛ لأن إظهاره على الكاذبين قبيح.

فصل: في الهدى والضلال

الهدى في القرآن على وجوه:

أولها: الدلالة والبيان، كقوله تعالى: {هدىً للناس} في صفة القرآن، وكقوله: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} [فصلت:17]، ويقال هديته فلم يهتدِ، أي أرشدته ودللته فلم يهتدِ.

وثانيها: زياهدة اللطف التي بها يثبت على الهدى، كقوله: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى} [محمد:17].

والثالث: الحكم بالهداية، كقوله تعالى: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي} [الأعراف:178].

والر ابع: الثواب وطريق الجنة، كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ، سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} [محمد:4-5]، فالأول عام في جميع المكلفين، والثاني والثالث والر ابع خاص في المؤمنين.

فأما الضلال فيستعمل على وجوه:

منها: الإضلال عن الدين، كقوله تعالى: {وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ} [طه:85]، {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى}[طه:79]، ومنه {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ}[إبراهيم:36].

ومنها: الحكم بالضلال، كقوله: {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ}[إبراهيم:27]، و{يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ}[الرعد:27].

ومنها: وجدانه ضالاً كقول عمرو بن معدي كرب: قابلناهم فما أجبناهم.

ومنها: الضلال عن الثواب.

ومنها: الهلاك، كقوله: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ}[القمر:47].

والذي لا يجوز على الله تعالى ويختص بالكلام فيه الإضلال عن الدين، لأنه لا يضلّ عن شيء أمر به فهذا عبث والله منزه عنه لأنه عدل حكيم.

فصل: في القضاء والقدر

القضاء في اللغة ثلاثة معان:

أحدها الخلق، كقوله تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} [فصلت:12]، وبمعنى الفرض والإيجاب، كقوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ} [الإسراء:23]، وبمعنى الإعلام، كقوله تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ} [الإسراء:4] أي: أعلمناهم.

والقدر على ثلاثة معان:

بمعنى الخلق {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} [فصلت:10]، وبمعنى الإعلام والبيان، كقوله: {قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ} [الحجر:60]، وبمعنى التقدير، فكلّ أفعال الله تعالى بقضائه وقدره بمعنى الخلق.

فأما أفعال العباد فجميع ذلك ليس من خلقه على ما بينا وبعلمه وبيانه، وأراد الطاعات فيجوز أن يضاف إليه على هذين الوجهين، وكذلك التقدير إلا أن فيه إيهاماً فوجب ألا يطلق إلا مع البيان.

🕮 الوعد والوعيد 🕮

الوعد والوعيد هو العلم بأن كل ما وعد الله به من الثواب لمن أطاعه وتوعده من العقاب لمن عصاه فسيفعله لا محالة كما قال تعالى {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [ق : 29] فلا يبدل القول لديه ولا يجوز عليه الخلف في وعده ووعيده.

🕮 المنزلة بين المنزلتين 🕮

1- أن تعلم أن أصحاب المعاصي الذين ارتكبوا الكبائر إذا ماتوا مصرين عليها يصيرون إلى العذاب الدائم لقوله تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الجن : 23].

2- أن تعلم أنهم يسمون فساقا ؛ لإجماع الأمة على تسميتهم بذلك، ولا يسمون كفارا ولا مؤمنين؛ لأن الإيمان والمؤمن مدح والفساق لا يمدحون، لأنه يلعن ويتبرأ منه، ولا يسمون كفارا لأنه ينطقون بالشهادتين ولا تجري عليهم أحكام الكفار في أنه لا يدفن في مقابر المسلمين ولا يزوج منه..الخ.

3- وتعلم أن شفاعة النبي صلى الله عليه لا تكون يوم القيامة لمن يستحق النار من الفساق والكفار لقوله تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} [غافر: 18] والشفاعة تكون رفعة ومنزلة لأهل الجنة وكرامة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

🕮 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 🕮

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم، ويكون بالسلاح فما دونه، وأن تعلم بجواز الخروج على الحكام الفسقة والإمام إذا فسق يعزل عن الإمامة، وهذا الأصل وله شروط، نختصر هذا الفصل في نقاط ونقول:

1- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب من جهة السمع الكتاب ، والسنة ، والإجماع، أما الكتاب فقوله تعالى : {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [آل عمران : 110] {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران : 104] : فالله تعالى مدحنا على ذلك ، فلولا أنها من الحسنات الواجبات وإلا لم يفعل ذلك، وأما السنة ، فهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : «ليس لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل» وأما الاجماع ، فلا إشكال فيه لأنهم اتفقوا على ذلك.

2- إن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرائط يجب بوجودها ، ويسقط بزوالها.

أولها : هو أن يعلم أن المأمور به معروف ، وأن المنهي عنه منكر. لأنه لو لم يعلم ذلك لا يأمن أن يأمر بالمنكر وينهي عن المعروف ، وذلك مما لا يجوز، وغلبة الظن في هذا الموضع لا تقوم مقام العلم.

ومنها : هو أن يعلم أن المنكر حاضر، كأن يرى آلات الشرب مهيأة والملاهي حاضرة والمعازف جامعة ، وغلبة الظن تقوم مقام العلم هاهنا.

ومنها : هو أن يعلم أن ذلك لا يؤدي إلى مضرة أعظم منه ، فإنه لو علم أو غلب في ظنه أن نهيه عن شرب الخمر يؤدي إلى قتل جماعة من المسلمين أو إحراق محلة لم يجب ، وكما لا يجب لا يحسن.

ومنها : هو أن يعلم أو يغلب في ظنه أن لقوله فيه تأثير، حتى لو لم يعلم ذلك ولم يغلب على ظنه لم يجب. وفي أن ذلك هل يحسن إذا لم يجب كلام. فقال بعضهم إنه يحسن لأنه بمنزلة استدعاء الغير إلى الدين ، وقال الآخرون يقبح لأنه عبث.

ومنها : هو أن يعلم أو يغلب على ظنه أنه لا يؤدي إلى مضرة في ماله أو في نفسه إلا أنه يختلف بحسب اختلاف الأشخاص. فإن كان المرء بحيث لا يؤثر في حاله الشتم والضرب فإنه لا يكاد يسقط عنه ، وإن كان ممن يؤثر ذلك في حاله ويحط مرتبته فإنه لا يجب ، وفي أن ذلك هل يحسن ، ينظر، فإن كان الرجل ممن يكون في تحمله لتلك المذلة إعزاز الدين حسن ، وإلا فلا. وعلى هذا يجمل ما كان من الحسين بن علي عليهما السلام ، لما كان في صبره على ما صبر إعزازا لدين الله عزوجل ، ولهذا نباهي به سائر الأمم ، فنقول : لم يبق من ولد الرسول صلى الله على وآله وسلم إلا سبط واحد ، فلم يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى قتل في ذلك، كذا قال القاضي في شرح الأصول.

فصل: في الإمامة

1- اتفق شيوخنا كافه رحمهم الله ، المتقدمون منهم والمتاخرون ، والبصريون والبغداديون ، على ان بيعه ابى بكر الصديق بيعه صحيحه شرعيه ، وانها لم تكن عن نص و انما كانت بالاختيار الذى ثبت بالاجماع ، وبغير الاجماع كونه طريقا إلى الامامه .

2- واختلفوا في التفضـــيل ، فقال قدماء البصـــريين كابى عثمان عمرو بن عبيد ، وابى اسـحاق ابراهيم بن ســيار النظام ، وابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وابى معن ثمامه بن اشــرس ، وابى محمد هشـــام بن عمرو الفوطى ، وابى يعقوب يوســف بن عبد الله الشـحام ، وجماعه غيرهم : ان ابا بكر افضل من على عليه السلام ، وهؤلاء يجعلون ترتيب الاربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافه .

وقال البغداديون قاطبة ، قدماؤهم ومتاخروهم ، كابى سـهل بشـر بن المعتمر، وابى موسى عيسى بن صبيح ، وابى عبد الله جعفر بن مبشـر، وابى جعفر الاسكافي ، وابى الحسين الخياط ، وابى القاســم عبد الله بن محمود البلخى وتلامذته ان عليا عليه الســلام افضـــل من ابى بكر، ومذهب البغداديون تقريبا هو المعتمد.

3- وأن الإمامة لأكرم الخلق وخيرهم عند الله، لقوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شـــعوباً وقبائل لتعارفوا الآية) فنادى جميع خلقه الأحمر منهم والأســود، والعربي والعجمي، ولم يخص أحداً منهم دون أحد، فقال: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، فمن كان أتقى الناس لله، وأكرمهم عند الله، وأعلم بالله، وعملهم بطاعته، كان أولاهم بالأمامة، والقيام في خلقه، كائناً من كان منهم، عربياً كان أو عجمياً، فوجب أن يكون الإمام تقي ورع عالما باللغات ويكون شجاعاً غير جبان، ثبت في الحروب، سخياً غير بخيل يمنع الحقوق، عدلا غير جائر وغيرها من صفات المروءة، صاحب عقل ورأي وفطنة.

تم البحث بحمد لله ومنّه، نسأل الله أن يجعل فيه القبول وأن يكون سهلا مفهوما للجميع، وأن يكون بابا ومدخلا للإعتزال بحق محمد وآله.

عبد الله مدقن المعتزلي

بتاريخ: 25/07/2020 الساعة 6:34 مساءا.